إسهامات أحمد مطلوب
في الدِّراسات البلاغيّة والنَّقديّة المعاصرة

الدكتور: أمحمد شليم
المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة – الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 06–07–2021	تاريخ النشر: ديسمبر 2021

ملخص:

تسعى هذه الدراسة للتعريف بأحد الباحثين العرب المعاصرين في مجالي البلاغة والنقد، متخذة من مؤلفاته متنا تشتغل عليه، للكشف عن إسهاماته لرسم معالم منهج توفيقي (الجمع بين المعاصرة والتراث) من شأنه رصد إشكالات الحركة النقدية في الثقافة العربية، والتحكم في آليات القراءة التراثية باستثمار التراث العربي من خلال تحقيق المخطوطات؛ بالإضافة إلى إدراك قضايا النظرية البلاغية، وهو ما ظهر في كثرة مؤلفاته ودراساته المطبوعة أو المنشورة في المجلات والدوريات العلمية.

الكلمات المفتاحية: أحمد مطلوب؛ البلاغة؛ المعجم؛ النقد.

Abstract:

This study aims to present one of the contemporary Arab researchers in the fields of rhetoric and criticism, through the making of his works a corpus to highlight his participations and also to describe the benchmarks of a coordinating method (the use of bothe modernity and heritage) which will be able to observe the problems of the critical movement in the Arab culture, as well as the regulation of the mechanisms of Arab heritage reading through the verification of manuscripts, in addition of the perception of the domain of the rhetorical theory which has appeared in the multitude of works and studies published and distributed in scientific journals and periodicals**.**

Keywords: Ahmed matloub؛ rhetoric؛ lexicon؛ criticism.

مقدمة:

إنَّ قراءة سريعة للمؤلفات البلاغية والنقدية خلال القرن العشرين في الوطن العربي مشرقه ومغربه تكشف للباحث مدى اهتمام الدارسين العرب – على اختلاف توجهاتهم – بالمستجدات والتطورات الحاصلة في الثقافة الغربية، ولاسيما ما تعلق منها بعلوم اللسان والدراسات المجاورة لها؛ حيث ذهب البعض إلى إمكانية تبني الآليات المطروحة كبديل للقراءة التقليدية، كما قرر البعض ضرورة الاستفادة من التراث والالتزام بمعاييره، في حين اختارت طائفة أخرى التوفيق بين النظرتين لرسم معالم منهج يزاوج بين القديم والحديث يمكَّن الباحث من مواكبة التطورات الحاصلة في علوم اللسان دون تعصبٍ للقديم. من هذا المنطلق تسعى هذه الورقة البحثية إلى قراءة أعمال أحد الباحثين المعاصرين الذين وضعوا بصمتهم في مجالي البلاغة والنقد، إذ أسهم في إنجاز العديد من الدراسات التي أثرت المكتبة العربية. وللتعرف على إسهاماته ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن أسئلة من قبيل: من هو أحمد مطلوب وما مؤلفاته البلاغية والنقدية ؟ ما أبرز إسهاماته في مجال تطوير النظرية البلاغية المعاصرة؟ وما مميزات منهجه، هل هو مجدد في أبحاثه أم أنها تكرار لما سبق؟ وما رأيه في قضية البلاغة الجديدة والأسلوبية الحديثة؟

1. مدخل

لاشك أن محاولات التوفيق بين المباحث التراثية ومخرجات الدرس اللساني الحديث، أسهمت في رسم معالم منهج جديد في الدراسة مكَّن الباحثين من مواكبة التطورات الحاصلة في علوم اللسان دون تعصبٍ للقديم أو إقصاءٍ للجديد. كما أن

الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن هذه النظرة ظهرت ثمارها في مختلف الدراسات اللغوية والنقدية والبلاغية التي مثّلت – في مراحل مختلفة– مدخلا من المداخل المساعدة على قراءة الخطاب اللغوي وفق منهجية من شأنها التوصل إلى نتائج يقينية، فالمزاوجة بين المباحث التراثية ومخرجات الدراسات المعاصرة تؤدي إلى تشكيل نظرية نقدية معاصرة تؤسس لتشكيل ممارسة إجرائية وفق آليات منهجية مضبوطة. ولعلَّ الوصول إلى تلك الغاية لا يتأتى إلا بتضافر الجهود وتوجيه الاهتمام إلى تراث اللغة العربية الثري ووضعه في دائرة البحث والتحقيق. وما إسهامات الدارسين العرب المعاصرين إلا خير دليل على أهمية هذا التراث؛ وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن تلك الإسهامات تجسدت في العديد من المؤلفات النظرية والتطبيقية خدمة للغة العربية والعناية بقضاياها المختلفة. وأحمد مطلوب من بين الذين تعتبر إسهاماتهم في مجال البحث البلاغي تأليفًا وتحقيقًا من الإسهامات القيمة، لاسيما وأنَّ أبحاثه تميزت بدقة الإجراء، وصرامة المنهج مع تحكمٍ في الآليات البلاغية وجديةٍ في مقاربة مختلف إشكالات الحركة النقدية، بالإضافة إلى اهتمامه بالمؤلفات التراثية من خلال التحقيق والكشف عن كنوزها، ما أوصله لإدراك قضايا النظرية البلاغية إدراكا عميقًا تجسد في العديد من المؤلفات التي أغنى بها المكتبة العربية فضلا عن الكثير من الدراسات المنثورة في الدوريات والمجلات المختلفة.

2. أحمد مطلوب المسيرة البحثية:

يبدو أن أحمد مطلوب من بين الباحثين الذين كانت لهم ميزة كثرة التآليف حيث يقول: "...وكان علي وأنا أغذ السير أن أظل حريصا على الطريف والتليد،

وأن أجمع ألوان الأدب لأكتسب ذوقا لا تنفع في تكوينه قواعد البلاغة والنقد وحدها؛ وأخرجت أكثر من خمسين كتابا – تأليفا وتحقيقا – ونشرت أكثر من مائة بحث علمي فيها من الأصالة وروح الأمة ورسالتها الخالدة ما جعل الناس بها ينتفعون؛ وسارت فإذا بها صفحات تنور الكتب وآراء تتردد في الندوات"[1]. هذه المسيرة العلمية مكنته من تقلد عدة مناصب أكاديمية وإدارية في مراحل مختلفة ، فمن مدير عام للثقافة سنة 1964 إلى وزير لها سنة 1967، وأمينا عاما للهيئة العليا للعناية باللغة العربية مابين سنوات 1986 و1992، ناهيك عن منصب العميد وعضوية المجامع العلمية في كل من: (الرباط، فلسطين، دمشق، الأردن).كما ساهم في تحرير عدد من المجلات العلمية من خلال تكليفه بعدة مهام من بينها: رئيسا لهيئة التحرير، وعضوا للهيئة، وعضوا استشاريا في مجلة المعلم الجديد، ومجلة الرسالة الإسلامية، ومجلة اللغة العربية بالكوفة وغيرها. وفيما يلي بعض العناوين – على سبيل المثال لا الحصر – التي أغنى بها المكتبة البلاغية في الوطن العربي:

1- البلاغة عند السكاكي (1964)

2- القزويني وشروح التلخيص (1967)

3- مصطلحات بلاغية (1972)

4- مناهج بلاغية (1973)

5- فنون بلاغية (1975)

[1]- أحمد مطلوب، بحوث بلاغية، مطبوعات المجمع العلمي، بغداد، دط، 1417هـ-1997م، صص: 03-04.

6- فنون بلاغية (1975)

7- البلاغة عند الجاحظ (1983)

8- دراسات بلاغية ونقدية (1980)

9- البلاغة العربية (1980)

10- بحوث بلاغية (1996)

بالإضافة إلى العديد من الكتب التعليمية الموجهة إلى الناشئة ومشاريع لتحقيق المخطوطات التراثية، دون إغفال المؤلفات المتعلقة بالنقد الأدبي والبحوث اللغوية

3. إسهاماته في مجال تحقيق التراث

لعلَّ الهدف الأساسي للتحقيق هو خدمة التراث الثقافي العربي، وتيسير سبل البحث أمام الدارسين والباحثين في مختلف المجالات (تاريخ العرب وعلومهم، وآدابهم، وأنسابهم... إلخ)؛ ذلك أن "للمخطوطات العربية أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي، فهي الوعاء الذي حفظ لنا العلوم والمعارف والفنون والآداب وأخبار التاريخ وأحداثه وكل نتاجات العقل العربي، وكان لها دور فاعل في التواصل الحضاري للأمة ورفدها بأسباب النهوض في كل العصور؛ كما كان لها تأثير مهم في تقدم الحضارة الإنسانية إضافة إلى قوامها المادي المتمثل بصناعتها من الورق والكتابة والتجليد والزخرفة والتزويق فهي من الآثار المنقولة التي تفردت بها الحضارة العربية الإسلامية"[1]. ومن منطلق الشعور بأهمية المخطوط باعتباره ذاكرة الأمم وأهم عنصر من عناصر بناء

[1]- النقشبندي أسامة، قديما وحديثا في سرقة وتخريب المخطوطات في العراق، مجلة تراثيات، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ع 8، جمادي الأولى 1427هـ-جويلية 2007م، ص: 57.

المعرفة الإنسانية، أخذت العناية تتجه إلى الاهتمام بنشر التراث العربي تتزايد سنة بعد أخرى حيث أقبل الباحثون من مختلف الأقطار على تحقيق المؤلفات التراثية والتعليق عليها لإخراجها للقارئ في شكل كتب مطبوعة أو رسائل أكاديمية علمية سواء من خلال جهود جماعية أو فردية. حدث ذلك بعد أن امتلك هؤلاء الدارسون السبل والآليات المنهجية للتحقيق "فأوفى ما نشروه على الغاية من حيث التحري عن مختلف مخطوطات الكتاب واختيار ما يصح الاعتماد عليه منها، وضبط النص وتمحيصه بالرجوع إلى أمهات المراجع، والتعريف بالكتاب ذاته، وبمؤلفه ووضع الفهارس الهجائية المتقنة التي تفصح عما يكنه الكتاب"[1].

واحمد مطلوب كغيره من المهتمين بتحقيق المخطوط استهوته الكنوز المخبوءة في خزانة التراث العربي وحركت فيه المحقق ليشارك في إخراج ما أمكنه من مؤلفات مختلفة (سيأتي ذكرها بعد قليل)؛ وهذا رغم انشغاله بمهام التعليم والتدريس والمسؤوليات الإدارية والعلمية الملقاة على عاتقه؛ حيث لم يمنعه كل ذلك من الإسهام في تحقيق مجموعة من المؤلفات متبعا في ذلك سبيل المحققين من خلال جمعها وقراءتها ومقارنة النسخ ببعضها ليكون العمل متقنا ومستوفيا لشروط التحقيق المتعارف عليها بين الدارسين والمهتمين بهذا الفن، سواء كان جهدا فرديا أو بمشاركة باحثين آخرين.

ومن بين هذه المؤلفات نجد دواوين شعرية حققها وأخرجها بالاشتراك مع الدكتور إبراهيم السامرائي نذكر منها: ديوان القطامي، وديوان قيس بن الخطيم، حيث

[1]- كوركيس عواد، المخطوطات المطبوعة في سنة 1971، مجلة المورد، العراق، مج1، العددان1و2، 1391هـ-1971م، ص: 253.

حاول الباحثان إخراج ديوان قيس بن الخطيم في أقرب صورة للنسخة الأصلية من خلال تحري الصواب والتدقيق في متن المخطوط وتخريج الأبيات بالاستعانة بمصادر أخرى وهو ما يقررانه في مقدمة تحقيقهما؛ حيث عملا على الرجوع إلى الكثير من كتب التاريخ والأدب واللغة من أجل التأكد من صحة البيت والمقارنة بين الروايات المختلفة قبل إثبات النص النهائي، كما يشير المحققان إلى الإكثار من الشروح في بعض المواضع التي تستوجب التوسع لما يكون في ذلك الشرح من فائدة للقارئ. يقول المحققان: "... وفي النسخة التي اعتمدنا عليها بعض الشروح آلينا أن لا نتركها فوضعناها في الهوامش وكتبنا بعدها المخطوطة لكي لا تختلط بغيرها"[1].

كما يلاحظ القارئ في مقدمة ديوان أبي حيان الأندلسي مدى التدقيق في عملية مطابقة شعر الديوان بما جاء في الكتب الأخرى والتعريف بالأعلام الواردة فيه وشرح الألفاظ الغريبة حتَّى وإن كانت قليلة حيث يقول في مقدمة تحقيق ديوان ديك الجن: "وبعد أن صنفنا ديوان ديك الجن هذا التصنيف بدأنا بمطابقة الأبيات والإشارة إلى الاختلافات الواردة في المصادر المختلفة وشرحنا ما غمض منها من الألفاظ "[2].

هذه بعض إسهاماته في تحقيق دواوين الشعر وإن وجهت بعض الانتقادات لمنهج الباحثين في التحقيق مثل ما نجده عند (مظهر الحجي) في مقدمة تحقيقه لديوان ديك الجن الحمصي إذ يقول: "لقد بذل الجامعان جهدا كبيرا في جمع وتخريج القصائد

[1]– القطامي، الديوان، تح: أحمد مطلوب، إبراهيم السامرائي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1960، ص: 18.

[2]– ديك الجن، الديوان، تح: أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 21.

ومطابقة الأبيات والإحالة إلى المصادر التي عادا إليها وذكر التنازع إن وجد وشرح غريب اللغة، ولكن عملهما لم يسلم من بعض الهنات، ولعل أبرزها أنهما عدا ما جمعه الشيخ محمد السماوي في (ملتقطه) ديوانا مخطوطا، وبنيا عليه عملهما، وهذا مرفوض علميا لأن السماوي عالم معاصر ومن غير المقبول علميا أن نعتبر (جمع) عالم معاصر (مخطوطا)؛ إن اعتماد هذا المنهج في صنع الديوان تسبب ببعض التشويش والاضطراب فيه"1. ولكن هذا لا ينقص من مجهود الرجل شيئا فلا يكاد عمل يخلو من بعض النقائص. وقراءة سريعة لقائمة المؤلفات المحققة من قبله تظهر مدى الجهود المبذولة في سبيل تحقيق تلك المؤلفات البلاغية التي اشتغل عليها مع مجموعة من الباحثين كالدكتورة خديجة الحديثي التي اشترك معها في تحقيق مجموعة من الكتب من بينها : التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القران لابن الزملكاني، والبرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب، والجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادي، بالإضافة إلى تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان الأندلسي.

هذه بعض الملاحظات المستخلصة من قراءة سريعة للمؤلفات المحققة، والتي تفيد في التعرف على المنهج المتبع في قراءة المخطوطات وتحقيقها؛ ليبقى إسهامه إسهاما قيما في إخراج هذه النفائس للقراء يقدره كل من كان له سابق معرفة بعلم التحقيق ومناهجه؛ فتحقيق النصوص وإخراجها في صورتها النهائية عملية فنية دقيقة محفوفة بالمخاطر تتطلب من المحقق صبرا ومثابرة، كما تستوجب التسلح بالعلم وسعة

[1]– ديك الجن الحمصي، ديوانه، تح: مظهر الحجي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص: 11.

الاطلاع مع معرفةٍ بأسرار المخطوطات وخباياها؛ ذلك أن التحقيق ليس- كما يعتقد البعض- عملية آلية لا تتطلب جهدا وتحمل عناء، لا سيما أن إخراج العمل كما أراده مؤلفه وارتضاه عمل بالغ الصعوبة تضع المحقق أمام مسؤولية اختيار النصوص التراثية وتحقيقها ونشرها للقراء التي لا تختلف عن مسؤولية المؤلفين المبدعين في حقل التأليف في حد ذاته1.

4. إسهاماته في الدراسات البلاغية

تعتبر الدراسات البلاغية من أهم العلوم الموصلة إلى فهم أسرار إعجاز القرآن لذا نالت حظوة عند الدارسين – قدماء ومحدثين – فبذلوا الجهود في التنظير والتطبيق حرصا منهم على إكمال صورة هذا العلم في ذهن القارئ، وما مؤلفاتهم المختلفة والمتعددة إلا خير دليل على مدى عنايتهم واهتمامهم بهذه الدراسات من أجل إيصال هذه الدراسات وتقريبها من فهم المتلقي في مختلف المراحل التاريخية. تلك العناية استمرت مع الدارسين المحدثين الذين كان لهم نصيب من هذه الجهود اقتداء بأسلافهم، ولعل أحمد مطلوب من بين الباحثين الذين شغل البحث البلاغي جزءًا كبيرا من تفكيرهم؛ ظهر ذلك جليا في قائمة المؤلفات والدراسات التي كتبها، ولاسيما الدراسات الأكاديمية منها. يقول في كتابه بحوث بلاغية: "إن البحث في البلاغة العربية معين لا ينضب، وإن دارس القرآن الكريم والأدب العربي ومصنف المختارات والناقد الأدبي لن يستغنوا عنها، لأن أهدافها واسعة، ومداها بعيد، بخلاف

[1]- ينظر: عبد الحسين محمد الفتلي، تحقيق النصوص، مجلة المورد، مج34، ع3، 1428هـ-2007م، ص: 63 .

بلاغة الأقوام الأخرى؛ وقد أدرك القدماء هذه الحقيقة وهم يبحثون في إعجاز القرآن الكريم، وينقدون الأدب، ويقوِمون الألسنة ويضعون المختارات، وأجدر بحفدتهم أن يولوا هذا الفن اهتماما كبيرا، وان يجددوا فيه وهم يستشرفون القرن الحادي والعشرين، وأن تكون لهم أصول عربية في النقد والبيان"1. ولن يتم ذلك في نظره إلا إذا قامت المؤلفات البلاغية على المزاوجة بين القديم والحديث، وذلك من خلال البحث في أصول الفن في مصادره القديمة وإثراء مباحثه بالتطبيق وفق المناهج الحديثة وذلك "لأن قتل القديم فهما أول خطوات التجديد (...) حتى إذا ما إذا ثقف الطلبة هذا القديم ووجدوا في نفوسهم القدرة على العطاء ساروا في طريق البناء وفي قلوبهم نور من التراث وفي نفوسهم قبس من الجديد"2.

هذا هو المنهج الذي اتخذه أحمد مطلوب في دراساته البلاغية، إذ أن الخوض في مباحث علم البلاغة دون الرجوع إلى المصادر الأولى للتنظير يعتبر قطعا للمسار التطوري لهذا العلم وهو ما أثبتته سهير القلماوي عند التقديم لكتاب مطلوب القزويني وشروح التلخيص حيث تقول: "إذا كان بعث الدراسات البلاغية كلها واجبا فان بعث هذه المرحلة [تقصد مرحلة القزويني] التي عندها توقف الخلق والابتكار أولى وأهم لأنها المرحلة التي نمسك الخيط القديم لنسير به نحو الجديد"3. وقد بين منهجه

[1]– أحمد مطلوب، بحوث بلاغية، ص: 5.

[2]– أحمد مطلوب، حسن البصير، البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1999، ص: 4 .

[3]– أحمد مطلوب، القزويني وشروح التلخيص، منشورات مكتبة النهضة ببغداد، العراق، ط1، 1967، ص: 14.

في مقدمة رسالته بأنه منهج يقوم على إدامة النظر في كتب الأولين، والاهتمام ببلاغة الفلاسفة وعلماء الكلام من اجل الإحاطة بجميع الجوانب المؤثرة في البحث البلاغي؛ ولذلك نجد في العديد من مؤلفاته إشارة لقضية تقسيم المؤلفات البلاغية إلى مدرستين رئيسيتين أطلق على الأولى: المدرسة الأدبية، والثانية بالمدرسة الكلامية، وكان اتجاهه أدبيا إذ رأى أن التقسيمات والتحديدات التي وضعها أصحاب المدرسة الكلامية غير مفيدة ومما يثقل البحث البلاغي بمصطلحات غامضة كحصر بحوث علم المعاني حصرا لا فائدة فيه لأن الفن الأدبي لا يحصر هذا الحصر ولا يحد بهذه الحدود العقلية، بالإضافة إلى تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء الذي يمكن اعتباره تقسيما فلسفيا أخذه البلاغيون عن أصحاب المنطق وهذا التقسيم –حسب مطلوب–عمل فلسفي لا يجدي نفعا، أما عن تحديد فنون البيان على الصورة التي نجدها في المؤلفات البلاغية فلا يفيدنا في دراستنا الحديثة لأن الفن أوسع من هذا التحديد، وأبعد من هذه التمحلات العقلية.

ولتوضيح المنهج الذي ارتضاه لمؤلفاته البلاغية نتخذ من كتابه: (عبد القهر الجرجاني بلاغته ونقده) عينة للتعرف على الخطوات التي اتبعها لرسم معالم منهجه؛ حيث أفرد فصلا كاملا من كتابه للتعريف بالمؤلف 'عبد القاهر الجرجاني' راسما صورة لحياة الشيخ وجهوده في الدراسات القرآنية والبلاغية والنحوية وذلك من خلال تناول نشأته وثقافته، وأدبه الذي مكنه من تصدر مجالس العلم بين العلماء والأدباء لينتهي الفصل بذكر وفاته وآثاره مع إعطاء شرح بسيط لكل مؤلف من مؤلفاته؛ ثم يجعل الفصل الثاني من كتابه خاصا بنظرية النظم التي تعد من أهم الأصول التي يتباحث

حولها الدارسون المحدثون في مجال دراسات علوم اللسان، وقد تناولها المؤلف من جميع الجوانب انطلاقا من فكرة النظم في حد ذاتها التي يرجعها الباحث إلى النحاة القدماء وقضية تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض ويذهب إلى أكثر من ذلك حينما يقرر أن غير العرب اهتموا بدراسة ما تشتمل عليه من موضوعات لها صلة بما اتخذه عبد القاهر سبيلا للوصول إلى فكرته التي أقام عليها مسألة الإعجاز، ثم يتناول في مبحث النحو أهم الأطوار التي مر بها النحو منذ البدايات مع سيبويه في كتابه ومرورا بأهم المؤلفات الخاصة به وذلك لما لمسائل النحو من علاقة وثيقة بنظرية النظم، وللأسلوب الذي انتهجه في معالجة تلك المسائل وفق تناول لم نعهده عند النحاة، حيث جعل من موضوعاته ميدانا للتذوق والتعبير لم تألفه الأذهان في كتب الأوائل، وما إعادة صياغة أبواب التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والذكر والحذف إلا خير دليل على ذلك. بعد كل ذلك ينتهي المؤلف إلى القضية الرئيسية في كتابه وهي نظرية النظم وفق ما أرادها عبد القاهر وارتضاها في مؤلفه (دلائل الإعجاز)، ليجعل في الأخير من أهم القضايا النقدية (اللفظ والمعنى البيان والبديع، السرقة والأخذ، القاعدة والتذوق، التأثر والتأثير، الإعجاز) فصولا شرح فيها مفاهيمها وأهم المباحث المتعلقة بها.

تلك أهم الجوانب المعالجة في كتابه والتي تظهر منهجه في النظرية البلاغية؛ إذ أن منطلق البحث عنده هو الرجوع إلى المصادر الأولى من اجل التأصيل للظاهرة البلاغية، وبحثها في منابعها من أجل الإحاطة بجميع جوانبها ثم الانتقال وفق سيرورة تاريخية من اجل الإلمام بمختلف التطورات التي مرت بها في مسيرتها، وهو ما لاحظناه

في تقسيمه المنهجي للفصول والمباحث والذي ينطلق من البدايات الأولى للنظرية لينتهي إلى إرساء نظرية النظم كما طبقها الزمخشري في كتابه الكشاف، وهذا بعد أن عاد إلى أهم مصدرين ألفهما الجرجاني لوضع نظريته وهما (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة) وهو ما يثبته في مقدمة الكتاب بالقول: "وكانت هذه التفسيرات مدعاة للعودة إلى كتابيه وقراءتهما كما تركهما وعرض بلاغته ونقده واستخلاص آرائه من غير تعصب وتفسيرها من غير تمسك بالأحكام السابقة ،لأنه من الحيف أن نتخذ مما شاع وانتشر ميزانا نزن به القديم فنقبل ما كان الاتفاق عليه واضحا ونرفض ما كان الاختلاف[عليه] جليا فنعظم الأول وننعي الثاني ناسين أن للقديم منهجه وان للحديث أسسه ولا ضير إذا التقيا لأن الكثير مما يشيع اليوم يتصل بالتراث، و لا بأس إذا ابتعدا لان الحياة في تطور ولأن الأدب ومقاييسه في تغير"[1].

5. إسهاماته في الصناعة المعجمية

يرى مطلوب أن أول سبيل لدراسة علم البلاغة وتتبعه في مصادر التراث هو ضبط المصطلح وتحديده تحديدا علميا دقيقا من خلال تتبع نموه وتطوره وإبراز البلاغة في صياغتها العربية الأصيلة التي تميزها عن بلاغة الأقوام الأخرى بما لها من خصوصية تميزها. وذلك لا يتأتى في نظره إلا بوضع معجم تأريخي يؤرخ لألفاظها ويجمع جزئياتها وفق تنظيم محكم ينسق أبوابها وفق عرض تاريخي لمراحل تطورها؛ هذا بالرغم من أن الإقدام على هذه الخطوة ليس بالسهل، فتاريخ الألفاظ والمصطلحات البلاغية ممتد في

[1]- أحمد مطلوب، عبدالقاهر الجرجاني بلاغته ونقده، دار العلم للملايين ،بيروت، ط1، 1393هـ-1973م، صص: 5-6.

تاريخ البحث اللغوي العربي؛ ولأنَّ قضية المصطلح تعتبر من أهم القضايا في العلوم الإنسانية ولاسيما الدراسات النقدية والبلاغية منها فقد وضع مجموعة من المعاجم من أجل تصنيف المصطلحات البلاغية والنقدية وفق منظور تأريخي يضع المصطلح وفق دراسته عبر مراحله التطورية، وهو ما يبينه في سياق ذكره للأهداف المرجوة من وضع المعجم التأريخي حيث يقول في معرض حديثه عن صناعة المعاجم: "ومما دفعنا إلى ذلك أننا نسمع في كل حين دعوة إلى وضع المعجم التأريخي، وهو أمر لا يقدر عليه أحد لأن تاريخ الألفاظ العربية ممتد في الزمن، ولأن الكثير من النصوص ضاع في غمرة الأحداث التي مرت بالأمة. ورأينا أن البلاغة أسهل موردا واقرب منالا، فأردنا أن نطبق هذه الفكرة عليها ونستعرض المصطلحات ليكون تأريخ تطورها أمام الدارسين"[1]. وهكذا ألَّف (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) في ثلاثة أجزاء بعد الوقوف على الكثير من مصادر علم البلاغة وإعادة النظر فيها ومقارنتها بعد التدقيق فيها كخطوة أولية قبل البدء في التصنيف على حروف الهجاء من غير النظر في أصل مادة المصطلح أو الاقتداء بالتصنيفات المتبعة في المعاجم القديمة، بل على سنن المعاصرين في إتباعهم طريقة تصنيف الألفاظ والمصطلحات لينطلق بعد تصنيف المادة إلى المعاجم اللغوية لمعرفة معنى المصطلح اللغوي وذكر مرادفاته إن كان للمعنى تسميات مختلفة، لينتهي إلى وضع تعريف البلاغين والنقاد وغيرهم للفن البلاغي. وهذا ما يصدق على معجم النقد القديم الذي أراد به الباحث أن يكون أساسا

[1]– محمد بركات حمدي أبو علي، فصول في البلاغة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1983، ص: 26 .

لوضع المعجم النقدي في مرحلة تعالت فيها الأصوات منادية بضرورة ضبط المصطلح النقدي أو ما يعرف عند الدارسين بإشكالية المصطلح النقدي، فكان (معجم النقد العربي القديم) في ثمانية عشر ألف وثمانمائة مصطلح ورد بعضها في المعجم الأول (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها). يقول: "وكان المعجمان ثمرة عمل مستمر استغرق أعواما، وقد أريد بهما رسم الطريق لوضع معجم بلاغي معاصر يكون مرجعا للنقاد ومصدرا للباحثين، بعد أن ظل المصطلح النقدي والبلاغي بعيدا عن المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية، ولم يخرج هذا المعجم عن النهج الذي اتضح في المعجم الأول وهو ترتيب المصطلحات بحسب توالي حروفها ليكون ميسرا لمن يبحث عن المصطلح "1.

هذا ما قام به أحمد مطلوب من جهود في معجميه وإن كانت هناك بعض المآخذ عليه من قبيل كثرة المصطلحات (اثنين ومائة وألف مصطلح) في معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، و(ثمانية عشر ألف وثمانمائة مصطلح) في معجم النقد العربي القديم؛ وذلك لتعدد المداخل وذكر المصطلحات المقاربة للمعنى الذي يحمله النوع الواحد بالإضافة لجعل الأغراض البلاغية للنوع الواحد مصطلحات متعددة وبصيغ مختلفة مع الخلط بين العناوين والمصطلحات2. ولكن هذا لا يمنع من الاعتراف بما يتميز به أحمد مطلوب من سعة إطلاع على المصادر البلاغية العربية

[1]– أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دط، 1989، ج1، ص: 07

[2]– ينظر: مليكة بن عطاءالله، لبوخ بوجملين، قراءة في معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد مطلوب، مجلة الأثر، كلية اللغة والآداب جامعة قاصدي مرباح/ ورقلة، العدد 25، جوان 2016، ص: 217 وما بعدها .

القديمة والمعاجم اللغوية، وهي من المزايا التي قلت عند الباحثين المحققين والمتثبتين في استقاء المعلومة من مختلف مصادرها وفق منهجية يسيرة وطريقة سهلة وهو ما جعل مؤلفاته في مجال المعجمية عصارة الكثير من المؤلفات البلاغية في مختلف المراحل التطورية لعلم البلاغة والنقد الأدبي؛ كما يعتبران من المعاجم الخاصة ومشروعا للمعاجم التأريخية التي أصبحت اليوم من الضرورات التي يجب إنشاء الندوات والفرق البحثية من أجلها، ولا يتم ذلك إلا من خلال تنسيق الجهود لرسم خطة منهجية موحدة للوصول إلى التأريخ للمصطلحات في الحضارة العربية وعلومها المختلفة للحد من تعدد المصطلح وتشتته في أمهات المصادر اللغوية.

6. رأيه في قضية البلاغة الجديدة

تطرق مطلوب لقضية البلاغة الجديدة في إحدى دراساته وأبدى وجهة نظره حولها بعد أن قام بعرض تاريخي للأطوار التي مرت بها في مسيرتها التطورية والخطوط العامة لمحاولات تيسير مباحثها انطلاقا من التراث العربي إلى غاية الدراسات المنادية بتجديد المنهج البلاغي الذي يعتبر السكاكي أول من حاول تيسير المباحث البلاغية من خلال التقسيمات المنطقية التي انتهجها لتحقيق غايته؛ وبعد أن عرض مجموعة من الدراسات الحديثة التي انطلقت من بحث إمكانية الانتقال من المنهج البلاغي إلى اعتماد الأسلوبية كمنهج لقراءة الخطاب اللغوي كدراسة عبد السلام المسدي الموسومة ب(الأسلوبية والأسلوب)، و كتاب لطفي عبد البديع (التركيب اللغوي للأدب)، وصلاح فضل في كتابه (علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته) بالإضافة إلى (البلاغة والأسلوبية) لمحمد عبد المطلب معتمدا في ذلك التسلسل الزمني في ظهورها، وبعد

مناقشة الآراء الواردة في هذه الدراسات خلص في نهاية بحثه إلى أن البلاغة العربية لا تقتصر على فن الأداء فقط وإنما لها أهداف متعددة ينبغي أن تظل مرتبطة بها لأنها تمثل روح اللغة العربية، وليست كما ذهب بعض الباحثين في إقتدائهم بالمؤلفات الأجنبية ودعوتهم لبلاغة جديدة تقوم على تحليل مستويات التعبير عبر عدة محاور (اللفظي، والتركيبي، والدلالي). هذه البلاغة الجديدة أغرت بعض الدارسين العرب فذهبوا إلى دراسة النص وفق مستوياته المعروفة (الصوتي ،التركيبي ،الدلالي) ليشيع هذا المنهج في الرسائل الأكاديمية والبحوث الجامعية، والذي يعتبره مطلوب منهجا بلاغيا لا يمكن الاستغناء عنه، حيث يقول في هذا السياق: "...أبعد هذا يريد بعض العرب إلغاء البلاغة التي هي جوهر الكلام ويتمسك بما تجاوزه أصحابه من اتجاهات وأراء أصبحت تأريخا؟"[1]. ويضيف في ذات السياق: "إن تجديد البلاغة أو تيسيرها ليس كتيسير النحو، لأنها علم أو فن لم ينضج ولم يحترق أي أنها قابلة لاستيعاب ما يلائم أصولها الكلية والبلاغة الميسرة أو الجديدة التي يسعى إليها الدارسون هي التي تواكب الحياة وتعبر عن روح العصر"[2]. فالمجدد في نظره هو الذي أطال النظر في تراث القوم، وقتل مؤلفاتهم بحثا ودراسة وتحقيقا ثم اطلع على ما أفرزته الدراسات الحديثة، بمثل هذه المزاوجة بين القديم والحديث يمكن التسليم بقضية التجديد وهذا ما يتضح جليًا في أغلب دراساته، إذ نلمس عدم تقبل أية دعوة للتجديد غير مبنية على أساس قوي تدعمه الحجج القوية ووفق واقع اللغة العربية، مع عدم الإيمان بتجديدٍ تبنى أصوله

[1]- أحمد مطلوب، تجديد البلاغة، مجلة المجمع العلمي، بغداد، مج 56، 2009، ج1، ص: 25.
[2]- أحمد مطلوب، المرجع نفسه، ص: 27.

على الحديث فقط بحجة أن المحدثين أكثر اطلاعا من القدماء. كما أنه ليس من السهل اليسير أن تنهض حركة التجديد والتطوير من غير فهم واع وإدراك عميق لما بدأه السابقون، ولن يقدر على ذلك إلا من وطن نفسه لهذا الهدف وأخلص لما يسعى إليه. ومن هنا كانت الدعوة إلى التجديد عملا شاقا قد يسعى إليه الباحث سنوات من غير أن يصل إليه، لأن "التجديد ليس التلفيق بين القديم والجديد، أو الاستشهاد العابر بشعر معاصر، أو الركون إلى أقوال الغربيين، وإنما هو عملية خلق كبيرة يقوم بها متمرس ضليع"[1]. وهذا بالإضافة إلى نظرته للمأزق الذي وضع المجددون أنفسهم فيه: "...وإنه لمما يلفت النظر أن يظهر بديعي متأخر كابن حجة الحموي يستوعب شعر عصره ويتخذه مدار دراسته في حين لم يقدر احد من المعاصرين أن يتخذ الموقف نفسه ويتمثل العصر ويتخذ مما فيه منهجا وأسلوبا، وفي هذا ما يدعو إلى التأمل في عهدٍ كثر فيه الدعاة إلى التجديد والزهو بأنهم يمثلون عصرهم من غير أن يقدموا نظرية جديدة؛ وليس ما يأخذونه عن الغرب بالجديد وإنما هو تقليد قد يكون ممقوتا أكثر من تقليدهم للسابقين"[2].

من هنا يتبين لنا المنهج الذي اتخذه أحمد مطلوب في النظرية البلاغية ودراسة النصوص الأدبية حيث تعتبر توفيقية بين القديم والحديث، ذلك أن المزاوجة بين منهج القدماء في قراءة النصوص وفق مباحث علم البلاغة المعروفة والتي تتجسد في علومها الثلاثة (البيان، المعاني، البديع) أوفق سبيل للكشف عن جماليات النص الأدبي مع

[1]- أحمد مطلوب، فنون بلاغية (البيان والبديع)، دار البحوث العلمية، دط، 1395هـ-1975م، ص: 05.
[2]- أحمد مطلوب، المرجع نفسه، ص: 06.

الاستفادة مما جدَّ في حقل الدراسات النقدية المعاصرة من آليات تسهم في تحليل جماليات النص الإبداعي وفق منهجية موضوعية تبتعد عن أحكام قيمية تقحم النص في مزالق لا تمت له بصلة، وهذا في حقيقة الأمر ما سنراه عند التطرق للمنهج النقدي الذي اعتبره أصلح لقراءة الأدب دون إغفال جزء من أجزائه، بل يجب مقاربة النص في كليته دون إقصاء جانب من جوانبه الجمالية التي تظهر خاصية الإبداع فيه.

7. منهجه النقدي

فيما يخص نظرته للمناهج النقدية المعاصرة فينطلق من منهج يمكن اعتباره تجوزا بمثابة منهج تكاملي تتضافر فيه مجموعة من المقاربات للوصول إلى وصف النص وصفا كليا يشمل جميع الجوانب الجمالية حيث يصرح في إحدى دراساته قائلا: "كان طوافي في هذه المناهج طويلا، وقد اتضح لي منهج في النقد هو حصيلة متابعة النقد العربي القديم والحديث، والنقد الأجنبي المعاصر، ومما دعاني إلى الجهرية ما يسود النقد الأدبي اليوم من شتات وابتعاد عن روح النص، وإهمال قيمة الجمالية والمعنوية والفكرية والإنسانية"[1]. وللوصول إلى غايته يرى انه لابد للناقد من التسلح بأدوات تمكنه من دراسة الأدب وفق منهجية قائمة على الوقوف على جوانب النص كلها ودراسته دراسة متكاملة تتضافر فيها مكوناته الجمالية لإبراز قيمته الإبداعية والفنية وأثرها في نفسية المتلقي، ولا يتأتى ذلك للناقد إلا إذا امتلك ثقافة واسعة وإتقانا لعلوم اللسان العربي بمختلف فروعها كما يجب أن يكون متسلحا باللغات الأجنبية التي تعتبر أداة

[1]– أحمد مطلوب، في المنهج النقدي، مجلة المجمع العلمي، بغداد، مج 52، 1426هـ – 2005م، ج1، ص: 218.

للتعرف على الثقافات الأخرى وبهذا يكون المنهج الموصل لقراءة النص منهجا يهتم بجميع مكونات النص وظروفه المحيطة به، وهذا ما يفسر المآخذ التي وجهها لبعض المناهج المعاصرة في دراسة الأدب ففي سياق حديثه عن المنهج البنيوي الذي يرى أنه يعالج النص وفق نظرة مجتزئة لا تهتم بجميع نواحيه الصوتية والتركيبية والدلالية، بالإضافة إلى إقصائه لعلاقة النص بمبدعه وأثر البيئة فيه، ويمكن ضبط أهم المآخذ التي وجهها للمنهج البنيوي فيما يلي[1]:

أ- البنيوية لم تعد شيئا يساير العصر، وأنها ليست أحدث المدارس النقدية في الأدب، وقد فات وقتها .

ب- التحليل البنيوي للنص يشبه وضع جناح الفراشة تحت المجهر فيضيع النص الأدبي كلا من جماله وكماله .

ج- البنيوية تعالج الأعمال الأدبية كأنها مؤسسة كلها على النماذج البسيطة نفسها، وبذلك يبدو العمل الجيد على المستوى نفسه كالعمل السيئ، فأين جمال العمل الأدبي وفنيته؟ وأين فرديته بين أشباهه؟

د- من الواجب دراسة الأدب باستخدام مبادئ الأدب نفسه، ويجب على النقد الأدبي أن يكون موضوعا مستقلا – لذلك تخطئ البنيوية بأخذها أساليب من مجالات أخرى كالألسنية التي هي بالتالي غير ملائمة للأدب.

هـ- البنيوية تعزل العمل الأدبي عن بيئته الكاملة، أي عن تراثه الأدبي وحياة مؤلفه والمجتمع الذي ألف فيه والمنعكس في العمل نفسه .

[1]- أحمد مطلوب، المرجع نفسه، صص: 216-217.

هذا عن الانتقادات التي وجهها لبعض المناهج النقدية المعاصرة – البنيوية كمثال – أما فيما يخص نظرته للمنهج النقدي الذي كان يرى أنه يصلح لقراءة النص الأدبي فيتمثل في دراسة الظروف المحيطة بالنص من خلال التوفيق بين داخل النص وخارجه كالوقوف على البيئة التي كتب فيها والظروف المحيطة به سواء كانت سياسية أو اجتماعية، والثقافة السائدة في ذلك العصر مع النظر في التيارات الفكرية والأدبية المعاصرة له مع التعمق في دراسة سيرة المبدع ومنابع ثقافته؛ ذلك أن إهمال هذه الجوانب أدى إلى نقد لا يقترب من جوهر النص ولا يكشف عن المغزى الحقيقي من إبداعه، كما يمكن لهذا المنهج الانتقائي أن يفسر النصوص الأدبية تفسيرا غير صحيح؛ ثم الانتقال إلى داخل النص عن طريق الكشف عن جوانبه المختلفة بالوقوف على لغته وأسلوبه، ومعناه وهدفه وأصالته وتقليده لأن النقد سبر أغوار النص وليس مس بنيته فقط، وهذا مع عدم الفصل بين الشكل والمضمون لأنهما بمثابة وجهي العملة لا يمكن التفكير في أحدهما مع غياب الآخر، وهو ما يساهم في قراءة النص قراءة تكاملية تبتعد عن كل تجزيئية وأدوات تحيل النص إلى أشكال هندسية وبيانية يحار المتلقي في فهمها[1]. ومهما يكن من أمر يمكن تلخيص الشروط التي وضعها مطلوب للناقد المؤهل لقراءة النصوص في العناصر التالية :

النظرة العميقة: ويقصد بها التعمق في علوم اللسان التي تعد الأدوات المساعدة في الولوج إلى مكامن النص وإدراك مميزاته .

[1]– ينظر: أحمد مطلوب، المرجع نفسه، ص: 220.

الذوق المهذب: ليدرك الناقد ما في النص من عروق نابضة بالحياة، ومعالجته بشفافية، ونزعة فنية، وروح أدبية .

الموضوعية:حيث لا يميل الناقد إلى من يهوى فيظهر محاسنه فقط، بل يعطي لكل ذي حق حقه كاشفا عن خصائص النص

الاختيار: وذلك باختيار النصوص التي تستحق الدراسة، ذلك أن النصوص الرديئة لا تستحق بذل الجهد وإضاعة الوقت .

القراءة الواعية:ولا يعني بها تعدد القراءات بل إعادة النظر فيه من أجل فتح مغاليقه وإيضاح معانيه .

ولتوضيح منهجه النقدي يقوم بالتطبيق على قصائد من الشعر الحديث لأحمد شوقي (الهمزية النبوية، رثاء مصطفى كامل، الأندلسية) حيث انطلق من في القصيدة الأخيرة من موازنتها بنونية ابن زيدون التي اعتبر عامل التأثر فيها غير واضح عند شوقي لكونه جاوز نهج المعارضات فيها، ثم علق على الظروف المصاحبة لكتابة القصيدة وأهم الموضوعات التي عالجتها، متعرضا للوحاتها الإبداعية، ولغتها، وأسلوبها. يقول: "ولولا الأخذ بهذا المنهج لأصبحت القصيدة معادلات جبرية، وأشكالا هندسية، وخطوطا بيانية، وماتت قبل موت أحمد شوقي"[1].

[1]– أحمد مطلوب، في المنهج النقدي(الحلقة الثالثة)، مجلة المجمع العلمي، بغداد، مج 53، 1427هـ – 2006م، ج4، ص: 62.

خاتمة:

في الأخير يمكن أن يستخلص الباحث من عرض بعض إسهامات أحمد مطلوب في مجالي البلاغة والنقد مجموعة من النتائج أبرزها:

– يبدو أنَّ أحمد مطلوب أولى أهمية للجانب التعليمي في علوم البلاغة والدراسات النقدية، حيث انصبت جهوده في مجال تيسير العلوم، وذلك لتقريبها من فهم الدارس العربي متخصص كان أو غير متخصص.

– يظهر من خلال قراءة مؤلفات أحمد مطلوب معالجته لقضايا البلاغة والدراسات النقدية من مختلف جوانبها سواء كانت نظرية أو تطبيقية.

– حاول أحمد مطلوب تحليل النصوص الأدبية من خلال التوفيق بين السياق الخارجي للنص (الوقوف على البيئة التي كتب فيها والظروف المحيطة به)، وسياقه اللغوي (اختيارات الكاتب، ولغته، وأسلوبه).

– كرَّس أحمد مطلوب مشروعه البحثي للتوفيق بين مباحث الدرس البلاغي في التراث ومخرجات المناهج النقدية الغربية للوصول إلى منهج نقدي متكامل يعالج النصوص من مختلف جوانبها.